

الشبهة الحادية عشرة

تدعى حدوث تناقض -بالقرآن الكريم- بين تحريمه للخمر فى الدنيا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وبين حلّ الخمر فى الجنة: ﴿مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥].

• وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن الذين لديهم حد أدنى من فقه اللغة العربية يدركون أن وحدة الاسم لا تعنى وحدة المسمى . . فكلمة «اللحم» واحدة، لكنها تدل على أنواع متعددة ومختلفة من اللحوم، بعضها حلال وبعضها حرام . . بعضها طيب وبعضها خبيث . . ولم يقل عاقل إن فى ذلك من التناقض ما يمثل شبهة فى استخدام المصطلح الواحد مع تعدد وتنوع واختلاف المسميات لهذا الاسم الواحد.

وإذا كان هذا جائزا فى عالم الشهادة، وفى مدلولات الأسماء التى تواضع عليها البشر فى اللغات الدنيوية . . فمن باب أولى أن تختلف مسميات الاسم الواحد فى الدار الآخرة عنها فى عالم الشهادة . . ذلك

أن كنه هذه المسميات الأخروية لا تقاس على نظائرها الدنيوية . . إذ هي مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . . ومثلها كمثل أسماء الله الحسنى وصفات الكمال والجلال والجمال التي وصف الله بها ذاته، لا يستوى ولا يتطابق كنهها وجوهرها مع ما تدل عليه هذه الصفات عندما يُطلق لفظها على الإنسان . . فعلم الإنسان ليس كعلم الله . . ورحمة الإنسان ليست كرحمة الله . . وعزة الإنسان ليست كعزة الله . . وجمال الإنسان ليس كجمال الله . . وهكذا تتحد الأسماء والألفاظ دون الاتحاد في المسميات، ودون وحدة الحكم الشرعى فى استعمال هذه المسميات .

وبهذا الفهم وهذا المعيار يكون هناك تباين واختلاف بين الخمر - التي حرمها الله فى الدنيا- والتي تخامر العقل وتغيبه وتحرم الإنسان من نعمة العقل، التي جعلت الشريعة الإسلامية الحفاظ عليها مقصدا من المقاصد الخمسة الضرورية فى هذه الشريعة . . وبين الخمر- التي هى لذة للشاربين- فى الجنة- والمبرأة مما فى خمر الدنيا من آفات، والتي أشارت إلى هذا الملحظ فيها الآية القرآنية الكريمة:

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٤١) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهِ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٢﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ يَبِضَاءٌ لِّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ [الصفات: ٤٠-٤٧].

فوحدة اسم الخمر لا تعنى وحدة مُسمى هذا الاسم . . كما أن وحدة
اسم «اللحم» لا تعنى وحدة الطيعة ولا الحكم فى اللحم الطيب
والخلال وفى لحم الخنزير المحرم والخبث .
ومن باب أولى عندما يتحد الاسم ويختلف المراد به فى عالم
الشهادة عنه فى عالم الغيب والنعيم المقيم .



الشبهة الثانية عشرة

تدعى وجود تناقض -بالقرآن الكريم- بين «النهي عن إيذاء الكفار»: ﴿وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨] . . وبين «الأمر بقتل الكفار» .

وتسوق هذه الشبهة عدداً من الأمثلة التي توهمت حدوث هذا التناقض فيها .

● وفي الرد على هذه الشبهة نتناول أمثلتها واحداً واحداً:

١- في المثال الأول: تدعى هذه الشبهة حدوث التناقض بين آية الأحزاب: ٤٨ ﴿وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ . . وبين آية الأنفال: ٦٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ .

وهذا الوهم والتوهم بوجود تناقض بين هاتين الآيتين شاهد على الجهل والتخليط . . فالآية الأولى لا تنهى الرسول ﷺ عن إيذاء المشركين والمنافقين، وإنما تنهاه عن المبالاة بإيذائهم له!! . . فأصحاب هذه الشبهة عجزة حتى عن فهم معنى هذه الآية وعجزة عن فهمها في السياق الذي جاءت فيه! . . وتلك مصيبة كبرى في الجهال الذين . . يتصدون -بالنقد- لنبا السماء الذي نزل من لدن حكيم عليم .

أما آية الأنفال: ٦٥ . وغيرها من الآيات القرآنية التي جاءت في الإذن بالقتال أو الأمر به أو التحريض عليه، فإنه يجب قراءتها جميعاً في إطار القواعد الكلية الحاكمة لموقف الإسلام من القتال . . وفي إطار السياق الذي جاءت فيه كل آية من هذه الآيات . . وفي ضوء المقاصد التي تغيثها هذه الآيات . .

لقد بدأ حديث القرآن الكريم عن القتال عندما «أذن» به للمؤمنين المظلومين، ليس عدواناً على المشركين الذين ظلموا المؤمنين وقتنهم في دينهم وأخرجوهم من ديارهم، وإنما دفعاً لعدوان هؤلاء المشركين الذين لم يكتفوا بهذا الذي اقترفت أيديهم، وإنما زحفوا من مكة للملاحقة المظلومين الذين فروا بدينهم من مكة إلى المدينة! . . ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَبِيعَ وَصَلَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿الحج: ٣٩ - ٤٠﴾ .

فالإذن بالقتال إنما حدث ليصد المؤمنون عدوان المشركين الذين فتنوهم في دينهم بكل وأبشع ألوان العذاب، والذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم . .

وعندما تطور هذا «الإذن» بالقتال إلى «التحريض» عليه، في مرحلة تالية من مراحل الصراع، جاء ذلك في الحديث - بسورة الأنفال - عن غزوة

بدر سنة ٢هـ، التي زحف فيها المشركون من مكة إلى المدينة - دار الهجرة - يريدون تدمير الدولة الإسلامية الوليدة، وإيادة الجماعة المؤمنة بالإسلام. . وعندما يزحف جيش المشركين على دار الإسلام لقتل أهلها، فمن الطبيعي - والواجب - أن ينزل القرآن ليحرض المؤمنين على القتال، دفاعاً عن أنفسهم ودارهم ودولتهم ودينهم. . فكانت الآية التي توهم أصحاب هذه الشبهة تناقضها مع ترك الأذى وعدم المبالاة به! : ﴿ أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٥].

فالتحريض - هنا - على القتال هو تحريض على الدفاع عن النفس والوطن والدين، وليس تحريضاً على العدوان. . ولذلك، فإن القتال هنا ليس نقيضاً لترك إيذاء الغير، وإنما هو لدفع الأذى!

ثم - وهذا هام في فهم هذا الباب من أبواب التشريع الإسلامى - أنه لا بد من قراءة كل الآيات القرآنية التي نزلت في القتال في ضوء القاعدة القرآنية الحاكمة والمحكمة: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

فالقتال - فقط - للمقاتلين والمعتدين. . والعدوان منهي عنه. . لأن الله لا يحب المعتدين. .

وفي تقرير وتأكيده هذه القاعدة التشريعية الحاكمة والمحكمة وردت العديد من الآيات القرآنية. . ومنها: ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

بل إن القرآن الكريم يذهب إلى تركية الصبر بدلا من العقاب: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿ [النحل: ١٢٦-١٢٨].. تلك هي فلسفة التشريع القرآني الحاكمة لكل ما نزل فيه عن القتال:

القتال: مكروه.. ومفروض، لرد عدوان الفتنة في الدين والإخراج من الديار.. والعدوان فيه محرم.. واللجوء إليه مُقَدَّرٌ بالقدر الذي لا مناص منه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].. ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].. ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]..

٢- أما النموذج الثاني - في هذه الشبهة - فهو توهم أصحابها وقوع تناقض - بالقرآن الكريم - بين «النهي عن الإكراه في الدين»: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وبين ما توهموه تشريعا قرآنيا للإكراه في الدين: ﴿فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]..

وهو - في الحقيقة - نموذج للجهل النابع من انتزاع كلمات القرآن الكريم من سياقها، وتحميلها معاني لا تتسق مع هذا السياق.. فأية

﴿ لا إكراه في الدين ﴾ إنما تمثل قاعدة حاكمة ومحكمة، ليس في «النهي» - فقط - عن الإكراه في الدين وإنما - أيضًا - في «نفي» حدوث التدين الحق والصحيح مع الإكراه! . . . ذلك أن الإيمان الإسلامي هو اعتقاد قلبي يبلغ مرتبة اليقين . . . ولأنه قلبي، فحدوثه وتحصيله بالإكراه مستحيل، إذ الإكراه يثمر نفاقًا، ولا يثمر إيمانًا بأى حال من الأحوال.

وليس هناك أدنى تناقض بين هذه الآية - التي تمثل قاعدة حاكمة ومحكمة - وبين آية: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣] . . . فمعنى هذه الآية - الذي لا يخفى على صبي يحفظ القرآن في الكتاب - هو أن القتال هنا إنما شرع لمنع الفتنة في الدين، أى لمنع الإكراه في الدين ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً . . . ﴾ ومنع الفتنة في الدين، يجعل الإيمان الديني خياراً حراً لا يشوبه الإكراه . . . ويجعل الإيمان الديني خالصاً لله، وليس نفاقاً يثمره الإكراه.

وزيد هذا المعنى وضوحاً - إذا افترضنا حاجته إلى مزيد إيضاح - السياق الذي جاءت فيه الآية . . . فالقتال هنا دفاعي، لرد عدوان المشركين المعتدين المقاتلين للمسلمين، كى يفتنوه عن دينهم، وليس قتالاً للإكراه في الدين: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى

يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلْتُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٤].

إنه قتال دفاعي، فرضه عدوان المشركين وقتالهم للمؤمنين، وفتنتهم لهم في دينهم -وهي أشد من القتل- . . والغرض من هذا القتال الدفاعي هو رد العدوان، وتحرير الضمائر كي تختار الإيمان خالصاً لله ومتحرراً من أى إكراه . . .

تلك هي المعاني الواضحة لهذه الآيات، والتي لا يخطئها فهم صبي يتلوها في كتاب! . . وإن جهلتها أو تجاهلتها «أفهام» الذين أجهدوا أنفسهم وأجهدوا الحقيقة في الجري وراء سراب حسبوه تناقضات بين آيات القرآن الكريم! .

٣- ونموذج ثالث: لما حسبه أصحاب هذه الشبهات تناقضات بين آيات القرآن، قالوا إنه واقع بين آية [البقرة: ٢٧٢] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ، وبين آية التوبة: ٢٩: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ .

ولقد زعم أصحاب الشبهات أن الآية الأولى تطلب بذل الأموال لغير المسلمين، بينما تطلب الثانية أخذ الجزية منهم.

والحقيقة أنه لا علاقة- ومن ثم لا تناقض- بين هاتين الآيتين..

فالأولى تقرر أن الهدى هدى الله.. ومن ثم فلا مبرر للأسى على الذين اختاروا واستحبوا الضلالة على الهدى.. والإنفاق الذى تحدث عنه هذه الآية ليس بذل الأموال للكفار الذين اختاروا الضلالة على الهدى- كما فهم أصحاب هذه الشبهات- وإنما هو إنفاق الصدقات الإسلامية فى مصارفها المحدودة- ومنها مصرف الفقراء الذين تحدث عنهم الآية التالية: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فبذل الأموال -الذى تحدث عنه آية [البقرة: ٢٧٢]- هو للفقراء الذين حدد القرآن لهم نصيباً فى الزكاة- وليسوا المشركين.

أما آية الجزية، فهى قد نزلت فى غزوة تبوك -رجب سنة ٩ هـ- تتحدث عن الروم الذين قهروا الشرق لعشرة قرون، واضطهدوا النصرانية الشرقية بمذاهبها المختلفة - وخاصة الآريوسية الموحدة..

ثم إن هذه الجزية -التي هى نظام قديم فى الحضارات السابقة على الإسلام- لم يجعلها الإسلام- كما كانت سابقاً- ضريبة عامة بديلة عن الإيمان بدين الإسلام، وبسبب المغايرة الدينية.. وإنما جعلها المسلمون

بدلاً من الجنديّة والانخراط في الجيش ودفع ضريبة الدم حماية للوطن والأمة . . . ولذلك، فهي لا تجب إلا على القادرين على حمل السلاح، والقادرين ماليّاً على دفعها . . . ولا تجب على النساء ولا الأطفال ولا المرضى ولا كبار السن ولا الفقراء ولا على الأحرار والرهبان-الذين تفرغوا للحياة الروحية . . .

ولو كانت الجزية بدلاً من الإسلام، لوجبّت أول ما وجبت على رجال الدين غير المسلمين، ولوجبّت على سائر من لم يؤمنوا بالإسلام .

وفي كل مراحل التاريخ الإسلامي، سقطت الجزية عن غير المسلمين الذين انخرطوا في الجيش وفي سلك الجنديّة والدفاع عن الوطن، وعن الذين قدموا خدمات عسكرية للجيش الذي يحرس الوطن المشترك والرعية المتعددة الديانات . . .

فليست الجزية نقيضاً للإتفاق الإسلامي . . . كما أن الإتفاق الذي تحدّث عنه آية [البقرة ٢٧٢] ليس بدلاً للأموال الإسلامية لغير المسلمين .

أما برّ المسلمين بالمخالفين لهم في الدين - الذي تحدّث عنه آية [المتحنة: ٨] ﴿ لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ، فهي تحدّث عن قطاع من المخالفين في الدين لهم شروط محددة: لا يقاتلون المسلمين في دينهم - بالفتنة في الدين أو بالتصير - مثلاً - ولا يخرجون المسلمين من ديارهم - بتهجيرهم أو بانتزاع مقدرات هذه

الديار منهم- ولا يظاهرون ويسارعون على فتنة المسلمين في دينهم وإخراجهم من ديارهم . .

ذلك هو الفقه والفهم لهذه الآيات في القرآن الكريم.

٤- والنموذج الرابع لما توهمه أصحاب هذه الشبهات تناقضاً بين آيات القرآن، ما رأوه بين ترك المخالفين للإسلام وشأنهم: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠] وبين ما سموه «الملاحقة والاضطهاد» الوارد في آية [النساء: ٨٩] ﴿ وَذُوقُوا كُفْرُوكُمْ كَمَا كُفَرْتُمْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ . .

والناظر -ولو بالحد الأدنى من الفهم- في هاتين الآيتين لا يجد أى تناقض بينهما . . فالآية الأولى تتحدث عن قطاع من اليهود والمشركين العرب: ﴿ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ -الذين لا كتاب لهم- الذين لم يسلموا، لكنهم لم يقاتلوا المسلمين ولم يفتنوهم في دينهم . . وهؤلاء يقول لهم القرآن -على لسان الرسول ﷺ-: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦] .

بينما تتحدث الآية الثانية -آية النساء: ٨٩- عن المنافقين- الذين هم كفرون يكيدون للإسلام والمسلمين فى الباطن والخفاء- أى أنهم

أخطر من الكافرين المعلنين الواضحين . . وفي هؤلاء المنافقين فصلت آيات القرآن الكريم، وميزت بين شرائحهم، ولم تضعهم في سلة واحدة: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا (٨٨)﴾ ودُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليَاءَ وَلَا نَصِيرًا (٨٩)﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يِقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿ النساء: ٨٨ : ٩٠﴾ . .

فالآية الأولى في المسلمين من الكتابيين والعرب المشركين . . والثانية في الكفار المنافقين الذين يعملون على رد المسلمين إلى الكفر كي يكونوا - في الكفر - سواء . . واختلاف الذين نزلت فيهم هذه الآيات ينفي أى تناقض بينها .

٥- وكذلك الحال - في انتفاء التناقض - بين آية [الأنعام: ١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ . . ومثلها آيات [يونس: ٩٩ ، ١٠٠] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ . . وبين

آية [محمد: ٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا
أُتِخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾ .. وآية [التوبة: ٧٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ
الْكَفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ ..

فالأيات الأولى - الأنعام: ١٠٧ ويونس: ٩٩، ١٠٠ - تقرر مبدأ
إسلامياً: أنه لا سلطان ولا إكراه على القلوب فى الاعتقاد . وأن
الرسول ﷺ - مبلغ ومذكر وليس مسيطراً ولا وكيلاً ولا جباراً .

أما الآيات الثانية - محمد: ٤ والتوبة: ٧٣ . فإنها تتحدث عن قتال الكفار
والمنافقين المعتدين والمقاتلين للمؤمنين . ولو أكمل أصحاب هذه الشبهة
قراءة آية محمد: ٤ لعلموا أنها تتحدث - بالنص - عن الحرب والمحاربيين
والقتال والمقاتلين . . ولا تتحدث عن مجرد الذين استجبوا الكفر على
الإيمان والضلالة على الهدى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ
إِذَا أُتِخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَثَا بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا
ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]
وكذلك آية التوبة: ٧٣ - نزلت فى جهاد الكفار والمنافقين - والجهاد أعم من
القتال والجهاد الكبير هو الجهاد بالقرآن - وليس بالسيف - ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ
جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] . . وهؤلاء الكفار والمنافقون هم الذين تحدثت
عنهم الآية التالية فقالت: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا
بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا يُبَالَوْنَ﴾ - [أى هموا بقتل الرسول غيلة وهو
عائد من غزوة تبوك سنة ٩هـ - ٦٣٠م] - ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿التوبة: ٧٤﴾ . . . ففى هؤلاء الكفار المنافقين المعرضين - المتصفين بهذه الصفات وأمثالها- والذين هموا بقتل الرسول ﷺ غيلة - جاء هذا الأمر بالجهاد- غير القتالى - إذ لم يقاتل رسول الله ﷺ المنافقين «حتى لا يقال إن محمداً يقتل أصحابه» . . .

وهذا مقام مختلف عن مقام الذين استحبوا الكفر على الإيمان، مع مسالمتهم ومعاهدتهم للمؤمنين . . . ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤] .

٦- والمثال السادس فى هذه الشبهة، يتحدث عن تناقض بين «الدعوة بالحسنى»- فى آية النحل: ١٢٥-: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ .

وبين ما سماه أصحاب هذه الشبهة «الدعوة بالسيف» فى آية النساء: ٨٤- ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ الْإِنْفُسَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

ولا وجود لشبهة تناقض بين هاتين الآيتين . . . فالأولى تتحدث عن الدعوة إلى سبيل الله، التى هى دائماً وأبداً بالحكمة والموعظة الحسنة وبالمجادلة التى هى أحسن . . . بينما الآية الثانية تتحدث عن قتال المقاتلين للمؤمنين، المعتدين عليهم، الذين يمارسون ضدهم النكاية والبطن والشدة . . .

ولو أكمل أصحاب هذه الشبهة تلاوة الآية لظهر هذا المعنى ووضح هذا الفارق.. فالآية تقول: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ الْإِنْفُسَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾.

فالمقام فيها ليس مقام الدعوة إلى سبيل الله «بالسيف» - كما زعم أصحاب الشبهة - وإنما هو مقام قتال الكفار المعتدين والمقاتلين للمسلمين، والذين يمارسون مع المسلمين الكيد والبأس والتنكيل.. والآية قد نزلت في التحريض على الخروج للدفاع عن المدينة المنورة في وجه المشركين الذين قادهم أبو سفيان سنة ٣هـ قاصدين غزو المدينة في موقعة «بدر الصغرى» - للانتقام من «بدر الكبرى» سنة ٢هـ.. أى أنها في التحريض على الدفاع عن الوطن، الذى أراد المشركون غزوة وهلاك أهله - عسى الله أن يكف بأسهم وكيدهم وتنكيلهم بالمسلمين - وليست في مقام «الدعوة إلى سبيل الله بالسيف» - كما فهم الجاهلون!.

ثم.. ألا يستحى هؤلاء الذين يتحدثون عن دعوة القرآن إلى الإسلام بالسيف، بينما كلمة «السيف» لم ترد فى القرآن ولو لمرة واحدة.. بينما جاء ذكرها فى كتابهم المقدس بأكثر من مائة موضع!!^(١).

لقد صدق رسول الله ﷺ عندما قال: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» - رواه البخارى وأبو داود وابن ماجه ومالك والإمام أحمد -.. وصدق الله العظيم: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]..

(١) انظر [فهرس الكتاب المقدس] طبعة مطبعة الحرية - بيروت سنة ٢٠٠٥م.

الشبهة الثالثة عشرة

تدعى -ويا للعجب!- أن هناك تناقضا- فى القرآن الكريم- بين حديثه عن «غرق فرعون» موسى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]- ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٢، ١٠٣]- ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠].

تدعى هذه الشبهة وقوع تناقض بين «إغراق فرعون» -الذى تحدثت عنه هذه الآيات- وبين «نجاة»- الذى تحدثت عنه سورة يونس: ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ [يونس: ٩١، ٩٢].

• وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إنه من الغريب والعجيب توهم وجود تناقض بين غرق فرعون - الذى تحدثت عنه آيات القرآن . . . والذى جاء ذكره فى الكتب السماوية السابقة -وبين «نجاة بدنه»- أى عدم غوصه فى قاع البحر وجعله طعمة

للأسماك . . فلقد أغرق الله فرعون، وأماته بالغرق في البحر، ثم نجا بدنه، ليحفظ، وليكون آية، عبرة، عظه لمن يأتي بعده من العالمين .

ولقد ظل بدن فرعون موسى -[منذ القرن الثالث عشر ق.م]- ولا يزال حتى الآن آية وعبرة، يكتب عنه الآثاريون وعلماء المصريات ودارسو تاريخ النبوات والرسالات . . وسيظل كذلك إلى أن يشاء الله رب العالمين . .

فصدق القرآن الكريم عندما تحدث عن «غرقه» وعن «نجاه بدنه» . .
وصدق الله العظيم . . ولكن القوم لا يعقلون! .



الشبهة الرابعة عشرة

تدعى أن القرآن الكريم قد وقع فيه تناقض بين قوله: إن الأرض قد خلقت قبل السماء: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين (١٠) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (١١) فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴿ [فصلت: ٩-١٢] . . ففى هذه الآيات خلق الله الأرض ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواها.

وفى آيات النازعات: ٢٧-٣٢: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿ . . فى هذه الآيات -تقول الشبهة- إن خلق الأرض قد تم بعد بناء السماء.

● وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن مجمل آيات القرآن الكريم نقول: إن الله - سبحانه وتعالى - قد خلق الأرض فى يومين- من أيام الله- . . وأن خلق الرواسي وتقدير

الأقوات فى هذه الأرض قد استغرق ما تمم الیومین أربعة أيام- أى استغرق هو الآخر یومین- ثم استغرق خلق السموات السبع وتسويتها یومین، فكان المجموع الكلى ستة أيام من أيام الله - سبحانه وتعالى- . .

وأن هذا الخلق قد تم على هذا الترتیب: خلق الأرض. . فخلق الرواسی وتقدير الأقوات. . ثم خلق السموات وتسويتها. .

ولیس فى آیات النزاعات ما یناقض هذا الترتیب. . ذلك أن الذى حدث للأرض -بعد بناء السموات- لیس خلق هذه الأرض. . وإنما هو «دحوها»- أى تهيئتها لسكنی المخلوقات فیها وعليها.

ففى البدء كان خلق الأرض، ولقد تلاه خلق الرواسی وتقدير الأقوات. . ثم بناء السموات -ولقد تم ذلك فى ستة أيام-. . وبعد ذلك دحا الله - سبحانه وتعالى- الأرض- أى هیأها لسكنی المخلوقات. .

ولو أن أصحاب هذه الشبهة كانت لديهم إثارة من علم، أو لو كانوا باحثین عن الحق والحقیقة، لرجعوا إلى تفاسیر القرآن الکریم التى عرضت لهذا الأمر بالتفصیل.

ففى [مفاتیح الغیب] للإمام الرازى [٥٤٤- ٦٠٤هـ- ١١٤٩م- ١٢٠٧م] یقول -فى تفسیر آیات النزاعات-:

«ظاهر الآیة یقتضى كون الأرض بعد السماء. . وفى فصلت: [ثم استوى إلى السماء] وهو یقتضى كون السماء بعد الأرض».

وفى الجمع بين هذه الظواهر - يقول الرازى:

«إن الله تعالى خلق الأرض أولاً، ثم خلق السماء ثانياً، ثم دحا الأرض، أى بسطها بسطاً مهيباً لنبات الأقوات ثالثاً. هذا هو الذى بينه بقوله: [أخرج منا ماءها ومرعاها] وذلك لأن هذا الاستعداد لا يحصل للأرض إلا بعد وجود السماء، فإن الأرض كالأم، والسماء كالأب، وما لم يحصل له تولد أولاً المعادن والنباتات والحيوانات»^(١).

وعند الإمام محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] نجد ذات التفسير الجامع بين ظواهر هذه الآيات، وفيه يقول - ما سبق وقاله أيضاً الرازى - من:

«أن البعدية قد لا تكون بعدية الزمان، ولكنها بعدية فى الذكر، وهى معروفة فى كلام العرب وغيرهم، وشاهدها من القرآن الكريم: ﴿عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ [القلم: ١٣]. . . أى عتل مع ذلك زنيم . . . أو أن الذى كان بعد خلق السماء هو دحو الأرض أى جعلها ممهدة مدحوة قابلة للسكنى والاستعمار، لا مجرد خلقها وتقدير أوقاتها فيها. وخلق الله وتقديره لم ينقطع من الأرض ولا ينقطع منها ما دامت، وكذلك يقال فى غيرها. وحاصل القول، أن الله تعالى خلق هذه الأرض وهذه السموات التى فوقنا بالتدرج، وما أشهدنا خلقهن،

(١) [مفاتيح الغيب] ج ٣١ ص ٤٥.

وإنما ذكر لنا ما ذكره للاستدلال على قدرته وحكمته وللامتنان علينا
بنعمته . . . ومن أراد أن يزداد علماً فليطلبه من البحث في الكون»^(١) .

هكذا ثبت الاتساق بين آيات القرآن الكريم . . . وهكذا كان هذا
الاتساق مقرراً ومفهوماً في تفاسير القرآن الكريم - القديم منها والحديث -
. . . ولو أن لمدعى الشبهات والتناقضات - بالقرآن الكريم - إثارة من علم
لأراحوا واستراحوا . . . ولكن يبدو أن الأمر هو أمر من «رمتنى بدائها
وانسلت»! . . . فلدى أصحاب هذه الشبهات - المزعومة والموهومة - كما
تقول «دائرة المعارف البريطانية» - أكثر من ١٥٠٠٠٠ (مائة وخمسين
ألف) تناقض في أقدم مخطوطات الكتاب الذي يقُدسون!!^(٢) . .

وعلى سبيل المثال:

- ففي مدة طوفان نوح - عليه السلام - نجدها أربعين يوماً وأربعين ليلة
- في سفر التكوين ١٢: ٧ - . . . وفي نفس السفر نجدها ١٥٠ يوماً -
التكوين ٢٤: ٧ .
- وفي ترتيب خلق النور - نجده في اليوم الأول - تكوين ١: ٥ - ثم
نجده في اليوم الرابع - تكوين ١: ١٦ - ١٩ .
- وفي ترتيب خلق الشمس - يقال مرة - إنها خلقت في اليوم الأول -
تكوين ١: ٥ - . . . ومرة ثانية يقال إنها خلقت في اليوم الرابع - تكوين
١: ١٤ - ١٩ .

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج٤ ص ١١٩ ، ١٢٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣ م .

(٢) [دائرة المعارف البريطانية] مجلد ٢ ص ٩٤١ .

● وفي ذات السفر -التكوين- نجد أن الحيوانات والطيور قد خلقت أولاً -تكوين ١: ٢٠-٢٣-.. ثم نجد أن الإنسان هو الذى خلُق أولاً، ثم النباتات، ثم الحيوانات والطيور -تكوين ٢: ٧-١٩-.. فهل وقفت هذه التناقضات -التي زاد عددها عن ١٥٠,٠٠٠ (مائة وخمسين ألف) -في ذلك الكتاب «المقدس»- وراء محاولاتهم البائسة واليائسة ادعاء وجود تناقضات فى القرآن الكريم؟! .. وذلك من باب «رمتنى بدائها وانسلت»؟! . إنه السؤال الحامل للجواب!

إن الصديق العلمى للقرآن هو إعجاز شهد به غير المسلمين من العلماء المنصفين.. وكتبت فيه دراسات علمية قارنت بينه وبين الخرافات والتناقضات التى امتلأت بها الكتب المقدسة عند الآخرين . ولو أن الذين اصطنعوا هذه «الشبهات» قد قرأوا كتاب العالم الفرنسى «موريس بوكاي» [القرآن والتوراة والإنجيل والعلم] لربما خجلوا من هذا الذى تقولوه على القرآن الكريم.



الشبهة الخامسة عشرة

تدعى حدوث تناقض في القرآن الكريم - بين كونه [مبيناً]: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وبين كونه قد اشتمل على [المتشابه]: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].



● وفي الرد على هذه الشبهة نقول:

إن «المبين» هو الواضح ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] - ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] - ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠] - ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] - ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠] - ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ولقد نزل القرآن جميعه بلسان عربى مبين -أى واضح للمتدبرين
لآياته . .

● والمحكم -من القرآن الكريم- هو ما لا يعرض فيه شبهة من
حيث اللفظ ولا من حيث المعنى . . فهو واضح . . .

● والمتشابه -من القرآن الكريم- ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما
من حيث اللفظ أو من حيث المعنى .

● وإذا كان المحكم -من القرآن الكريم- الواضح الذى لا يحتاج
إلى تأويل آياته وأحكامه ومعانيه -هو أم الكتاب ومعظمه . . فإن
المشابه من آيات القرآن- الذى يرد فيه التأويل- عندما تُرد ألفاظه -
بالتأويل الذى يصل إلى مآلاتها -إلى المحكمات- التى هى أم الكتاب
ومعظمه -يصبح هذا المتشابه- بعد تأويله- محكماً- فيصير كل القرآن
الكريم فى الوضوح والبيان سواء .

● وتبقى حكمة ورود المتشابه فى القرآن الكريم، هى: فتح أبواب
الفهم والتدبر والغوص وراء المعانى، وتحريك ملكات الاجتهاد فى فقه
هذا الذى جاء متشابهاً -فى اللفظ أو فى المعنى أو فيهما معاً- من آيات
القرآن الكريم . .

ومن ثم، فلا تناقض بين المحكم والمتشابه فى آيات القرآن الكريم . .
إذ التأويل للمتشابه، وإدراك مآلاته، إنما يلحقه بالمحكم، فى البيان
والوضوح . ولكن بعد إعمال العقل والفكر فى التأويل -الذى هو
صناعة الراسخين فى العلم- . .

ولقد أبدع الراغب الأصفهاني [٥٠٢ هـ - ١١٠٩ م] - صاحب الكتاب
اللفظ [المفردات في غريب القرآن] - في تعريف المتشابه . . والتمثيل له . .
وفي ذكر أقسامه . . فقال :

«والمشابه من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره إما من حيث
اللفظ أو من حيث المعنى . فقال الفقهاء: المتشابه ما لا يبنى ظاهره عن
مراده . وحقيقة ذلك أن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب :

- محكم على الإطلاق .

- ومتشابه على الإطلاق .

- ومحكم من وجه متشابه من وجه .

● فالمتشابه في الجملة ثلاثة أضرب :

- متشابه من جهة اللفظ فقط .

- ومتشابه من جهة المعنى فقط .

- ومتشابه من جهتهما .

والمتشابه من جهة اللفظ ضربان :

أحدهما: يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك إما من جهة غرابته، نحو
الأبّ ويزفون .

وإما من جهة مشاركة في اللفظ كاليد والعين .

والثاني: يرجع إلى جملة الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب :

ضرب لاختصار الكلام، نحو ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣].

وضرب لبسط الكلام، نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] - لأنه لو قيل: ليس مثله شيء، كان أظهر للسامع.

وضرب لتنظم الكلام، نحو ﴿أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدَهُ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١] - تقديره: الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً. وقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ [الفتح: ٢٥] - .

والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف يوم القيامة، فإن تلك الصفات لا تُتصوّر لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسّه أو لم يكن من جنس ما نحسّه.

والمتشابه من جهة المعنى واللفظ جميعاً خمسة أصرب:

الأول: من جهة الكمية، كالعموم والخصوص، ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

والثاني: من جهة الكيفية، كالوجوب والندب، نحو ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٣].

والثالث: من جهة الزمان، كالناسخ والمنسوخ، نحو ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

والرابع: من جهة المكان والأمر التي نزلت فيها، نحو ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ

بأن تَأْتُوا الْيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴿ [البقرة: ١٨٩] - وقوله ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ٣٧] - فإن من لا يعرف عاداتهم فى الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية.

والخامس: من جهة الشروط التى بها يصح الفعل أو يفسد، كشروط الصلاة والنكاح.

وهذه الجملة إذا تُصَوِّرَتْ عُلْمٌ أن كل ما ذكره المفسرون فى تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم. نحو قول من قال المتشابه ﴿الْم﴾. وقول قتادة: المحكم: الناسخ، والمتشابه: المنسوخ. وقول الأصم: المحكم ما أجمع على تأويله، والمتشابه: ما اختلف فيه. ثم، جميع المتشابه على ثلاثة أضرب:

ضرب لا سبيل للوقوف عليه، كوقت الساعة، وخروج دابة الأرض، وكيفية الدابة ونحو ذلك.

وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته، كالألفاظ الغريبة والأحكام الغَلَقَة.

وضرب متردد بين الأمرين يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين فى العلم، ويخفى على من دونهم، وهو الضرب المشار إليه بقوله عليه السلام فى على - رضى الله عنه -: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» وقوله لابن عباس مثل ذلك.

وإذ علمت هذه الجملة عُلْمٌ أن الوقف على قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ

إِلَّا اللَّهُ ﴿ [آل عمران: ٧] ووصله بقوله: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٧] جائز، وأن لكل واحد منهما وجهاً حسباً دل عليه التفصيل المتقدم.

وقوله: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ [الزمر: ٢٣] - فإنه يعنى: ما يشبه بعضه بعضاً فى الأحكام والحكمة واستقامة النظر...»^(١).



● ومن العلماء من قال: إن رد التشابه إلى المحكم لا يكون بتأويله.. وبعبارة الإمام محمد عبده:

«وأما كون المحكمات هن أم الكتاب، فمعناه أنهن أصله وعماده أو معظمه.. أو أنها هى الأصل الذى دعا الناس إليه، ويمكنهم أن يفهموها ويهتدوا بها، وعنهما يتفرع غيرها وإليها يرجع، فإن اشتبه علينا شىء نرده إليها.

وليس المراد بالرد أن نؤوله، بل أن نؤمن بأنه من عند الله، وأنه لا ينافى الأصل المحكم الذى هو أم الكتاب وأساس الدين الذى أمرنا أن نأخذ به على ظاهره الذى لا يحتمل غيره إلا احتمالاً مرجوحاً.

(١) الراغب الأصفهاني [المفردات فى غريب القرآن] ص ٢٥٤، ٢٥٥. طبعة دار التحرير القاهرة سنة ١٩٩١م.

مثال هذه المتشابهات قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] - وقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] - وقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

وهذا رأى جمهور المفسرين:

وذهب جمهور عظيم منهم إلى أنه لا متشابه في القرآن إلا أخبار الغيب، كصفة الآخرة، وأحوالها من نعيم وعذاب.

والفارق بين تأويل الذين في قلوبهم زيغ وبين الراسخين في العلم «أن أهل الزيغ يرجعون بالمتشابه إلى أهوائهم وتقاليدهم، لا إلى الأصل المحكم الذي بُني عليه الاعتقاد - وذلك على عكس الراسخين في العلم»^(١).



ولقد طرح الإمام محمد عبده سؤالاً:

- «لم كان في القرآن متشابه لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم؟ ولم لم يكن كله محكماً، يستوى في فهمه جميع الناس، وهو قد نزل هادياً والتشابه يحول دون الهداية بما يوقع اللبس في العقائد ويفتح باب الفتنة لأهل التأويل»؟؟..

ولقد أورد -الإمام محمد عبده- أجوبة العلماء على هذا السؤال.. وهي ثلاثة أجوبة:

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٥ ص ٧، ٨.

١- أن الله أنزل المتشابه ليمتحن قلوبنا فى التصديق به، فإنه لو كان ما ورد فى الكتاب معقولاً واضحاً لا شبهة فيه عند أحد من الأذكياء ولا من البلداء لما كان فى الإيمان شىء من معنى الخضوع لأمر الله تعالى والتسليم لرسله .

٢- جعل الله المتشابه فى القرآن حافزاً لعقل المؤمن إلى النظر كى لا يضعف فيموت، فإن السهل الجلى جداً لا عمل للعقل فيه . والدين أعز شىء على الإنسان، فإذا لم يجد فيه مجالاً للبحث يموت فيه، وإذا مات فيه لا يكون حباً بغيره، فالعقل شىء واحد إذا قوى فى شىء قوى فى كل شىء، وإذا ضعف، ضعف فى كل شىء، ولذلك قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ولم يقل والراسخون فى الدين، لأن العلم أعم وأشمل، فمن رحمته تعالى أن جعل فى الدين مجالاً لبحث العقل بما أودع فيه من المتشابه، فهو يبحث أولاً فى تمييز المتشابه من غيره، وذلك يستلزم البحث فى الأدلة الكونية والبراهين العقلية وطرق الخطاب ووجوه الدلالة ليصل إلى فهمه ويهتدى إلى تأويله، وهذا الوجه لا يأتى إلا على قول من عطف [والراسخون] على لفظ الجلالة . وليكن كذلك .

٣- أن الأنبياء بُعثوا إلى جميع الأصناف من عامة الناس وخاصتهم سواء كانت بعثتهم لأقوامهم خاصة كالأنبياء السابقين عليهم السلام أو لجميع البشر كنبينا ﷺ، فإذا كانت الدعوة إلى الدين موجهة إلى العالم والجاهل والذكى والبلبد والمرأة والخادم، وكان من المعانى ما لا يمكن

التعبير عنه بعبارة تكشف عن حقيقته وتشرح كنهه بحيث يفهمه كل مخاطب عامياً كان أو خاصياً ألا يكون في ذلك من المعانى العسالية والحكم الدقيقة ما يفهمه الخاصة ولو بطريق الكناية والتعريض، ويؤمر العامة بتفويض الأمر فيه إلى الله تعالى والوقوف عند حكم الحكيم فيكون لكل نصيبه على قدر استعداده. مثال ذلك إطلاق كلمة الله وروح من الله على عيسى، فالخاصة يفهمون من هذا ما لا تفهمه العامة، ولذلك فُتِنَ النصارى بمثل هذا التعبير، إذ لم يقفوا عند المحكم وهو التنزيه، واستحالة أن يكون لله جنس أو أم أو ولد. والمحكم عندنا فى هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ومن المتشابه ما يحتمل معانى متعددة وينطبق على حالات مختلفة لو أخذ منها أى معنى وحمل على أية حالة لصح. ويوجد هذا النوع فى كلام جميع الأنبياء، وهو على حد قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوْ يَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. ومنه إيهام القرآن لمواقيت الصلاة لحكمة، وقد بين النبي ﷺ ذلك فى بلاد العرب المعتدلة بالأوقات الخمسة للصلوات الخمس، وما كانت العرب تعلم أن فى الدنيا بلاداً لا يمكن تحديد المواقيت فيها كالبلاد التى تشرق فيها الشمس نحو ساعتين لا يزيد نهار أهلها على ذلك. أشار القرآن إلى عواقيت الصلاة بقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧، ١٨] وسبب

هذا الإبهام أن القرآن دين عام لا خاص ببلاد العرب ونحوها، فوجب أن يسهل الاهتداء به حيثما بلغ. ومثل هذا الإجمال والإبهام في مواقيت الصلاة يجعل لعقول الراسخين في العلم وسيلة للمراوحة فيه واستخراج الأحكام منه في كل مكان بحسبه، فأينما ظهرت الحقيقة وجدت لها حكماً في القرآن، وهذا النوع من التشابه من أجل نعم الله تعالى، ولا سبيل إلى الاعتراض على اشتمال الكتاب عليه.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]: أى وما يعقل ذلك ويفقه حكمته إلا أرباب القلوب النيرة والعقول الكبيرة، وإنما وُصف الراسخون بذلك لأنهم لم يكونوا راسخين إلا بالتعقل والتدبر لجميع الآيات المحكمة التي هي الأصول والقواعد، حتى إذا عرض التشابه بعد ذلك يتسنى لهم أن يتذكروا القواعد المحكمة وينظروا ما يناسب التشابه منها فيردونه إليه^(١).



وقبل الإمام محمد عبده، عرض الإمام الفخر الرازى للجواب عن حكمة اشتمال القرآن الكريم على المحكم والتشابه. . وذكر خمس فوائد لذلك - في سياق الرد على الملاحدة الذين اعترضوا على اشتمال القرآن على التشابهات. . فقال:

«إعلم أن من الملاحدة من طعن في القرآن لأجل اشتماله على

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج٥ ص ١٠، ١١.

المتشابهات، وقال: إنكم تقولون إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثم إننا نراه يتمسك به كل صاحب مذهب على مذهبه، فالجبرى يتمسك بآيات الجبر، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥] - والقدرى يقول: بل هذا مذهب الكفار، بدليل أنه تعالى حكى ذلك عن الكفار فى معرض الذم لهم فى قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥] وفى موضع آخر: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]. وأيضاً مثبت الرؤية يتمسك بقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، والنافى يتمسك بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ومثبت الجهة يتمسك بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ويقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، والنافى يتمسك بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى ١١]، ثم إن كل واحد يسمى الآيات الموافقة لمذهبه محكمة، والآيات المخالفة لمذهبه متشابهة، وربما آل الأمر فى ترجيح بعضها على بعض إلى ترجيحات خفية، ووجوه ضعيفة، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذى هو المرجوع إليه فى كل الدين إلى قيام الساعة هكذا، أليس أنه لو جعله ظاهراً جلياً نقياً عن هذه المتشابهات كان أقرب إلى حصول الغرض؟

وأعلم أن العلماء ذكروا فى فوائد المتشابهات وجوها:

الوجه الأول: أنه متى كانت المتشابهات موجودة، كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

الوجه الثاني: لو كان القرآن محكما بالكلية لما كان مطابقا إلا للمذهب واحد، وكان تصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب، وذلك مما ينفر أرباب المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه، فالانتفاع إنما حصل لما كان مشتملا على المحكم وعلى المتشابه فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يقوى مذهبه، ويؤثر مقالته، فحينئذ ينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمل فيه كل صاحب مذهب. فإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات، فبهذا الطريق يتخلص المبطل عن باطله ويصل إلى الحق.

الوجه الثالث: أن القرآن إذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر الناظر فيه إلى الاستعانة بدليل العقل، وحينئذ يتخلص من ظلمة التقليد، ويصل إلى ضياء الاستدلال والبينة، أما لو كان كله محكما لم يفتر إلى التمسك بالدلائل العقلية فحينئذ كان يبقى في الجهل والتقليد.

الوجه الرابع: لما كان القرآن مشتملا على المحكم والمتشابه، افتقروا إلى تعلم طرق التأويلات وترجيح بعضها على بعض، وافتقر تعلم ذلك

إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو وعلم أصول الفقه، ولو لم يكن الأمر كذلك ما كان يحتاج الإنسان إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، فكان إيراد هذه المتشابهات لأجل هذه الفوائد الكثيرة.

الوجه الخامس: وهو السبب الأقوى في هذا الباب - أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام بالكلية، وطبائع العوام تنبو في أكثر الأمر عن إدراك الحقائق، فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا مُشار إليه، ظن أن هذا عدم ونفى وقوع في التعطيل، فكان الأصح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتوهمونه ويتخيلونه، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح، فالقسم الأول وهو الذى يخاطبون به فى أول الأمر يكون من باب المتشابهات، والقسم الثانى وهو الذى يكشف لهم فى آخر الأمر هو المحكمات»^(١).

هكذا استباننا وتستبين الحكمة الإلهية من اشتمال القرآن الكريم على المحكم والمتشابه. . على الواضح، الذى هو أم الكتاب ومعظمه. . وعلى المتشابه، الذى يفتح الأبواب أمام عقول الراسخين فى العلم، ويحفز الملكات والطاقات إلى استخدام العلوم -علوم الوسائل- التى تفتح مغاليق العلم وتعين على استخراج الجواهر والكنوز من القرآن

(١) [مفاتيح الغيب] ج٧ ص ١٦٠، ١٦١.

الكريم دائما وأبدا. . فيظل القرآن الكريم- على مر الدهور واختلاف
البيئات، وتنوع الثقافات وتوالي المستجدات والتحديات- السراج المنير
لكل ناظر فيه. وصدق رسول الله ﷺ:

«إنه كتاب الله؛ فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم
ما بينكم. . وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط
المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع
منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو
الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (١)
يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴿ [الجن: ١، ٢] من قال به صدق، ومن عمل به
أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم»،
رواه الترمذى والدارمى.

وصدق الله العظيم:

﴿الْم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿ [البقرة: ١، ٢].
﴿وَأِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ
مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ [فصلت: ٤١، ٤٢].
﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿ [البروج: ٢١، ٢٢].
﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [الواقعة: ٧٧-٨٠].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ [يونس: ٣٧، ٣٨].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَأَيُّمُونُ ﴾ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ [الطور: ٣٣، ٣٤].

﴿ أَلَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿ [السجدة: ١-٣].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٢) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ [هود: ١٣، ١٤].

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٢) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا بِالنَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿ [البقرة: ٢٣، ٢٤].



المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

• الكتاب المقدس.

أكرم بلقعيد: «عودة البنوك الإسلامية»- ملحق «لوموندديبلو ماتك»-
الطبعة العربية- صحيفة «الأخبار»-القاهرة- في ٧-١١-٢٠٠٨م.

البيضاوى: [تفسير البيضاوى] طبعة القاهرة ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م.

الرازي- فخر الدين: [مفاتيح الغيب] طبعة دار الفكر-بيروت
٢٠٠٥م.

الراغب الأصفهاني: [المفردات فى غريب القرآن] طبعة دار التحرير -
القاهرة ١٩٩١م.

زالمان شازار-محرر:- [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور
حتى العصر الحديث]. ترجمة: دكتور أحمد محمد هويدى- تقديم
ومراجعة: دكتور محمد خليفة حسن - طبعة المجلس الأعلى للثقافة-
القاهرة ٢٠٠٠م.

دكتور عماد الدين خليل: [قالوا عن الإسلام] طبعة الرياض
١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

محمد السعدى: [حول موثوقية الأناجيل والتوراة] طبعة طرابلس - ليبيا- ١٩٨٦م.

محمد عبده: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة - طبعة دار الشروق- القاهرة ١٩٩٣م.

دكتور محمد عمارة: [الغرب والإسلام: تاريخ من الغزو والتزييف وغواية الأقليات] طبعة مكتبة وهبة- القاهرة ٢٠١١م.

محمد فؤاد عبد الباقي: [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب - القاهرة ١٣٧٨هـ.

دكتور مونتجمرى وات: [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر].
ترجمة: دكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ- طبعة مكتبة الأسرة-
القاهرة ٢٠٠١م.

موسوعات:

[دائرة المعارف البريطانية].

[فهرس الكتاب المقدس] طبعة بيروت ٢٠٠٥م.

